

إبداع الطالب العراقي([1])



إبداع الطالب العراقي([1])

لا شك أن البشرية شهدت اكتشافات وانجازات عظيمة عبر تاريخها نقلتها من تلك العهود البدائية الأولى التي كانت حياتها فيها أقرب إلى حياة الحيوانات إلى العصر الحاضر الذي نجد فيه هذه الثورة التقنية الهائلة في كل المجالات، ولا شك أن هذه الانجازات لم تأت من فراغ، وإنما تحققت بفضل تضافر جهود وتراكم خبرات شاركت فيها الحضارات الإنسانية المتعددة.

ولو سُئِلنا عن أعظم تلك الانجازات البشرية لأجبتنا بلا تردد إنها الكتابة واستعمال القلم والقدرة على التعبير ونقل المعلومة، لأنها أساس كل هذا التقدم الذي ذكرناه، ولولا أن العلوم وحصيلة التجارب البشرية تدوّن وتنتقل من جيل إلى جيل ومن حضارة إلى أخرى لما حصل هذا التراكم وهذا النمو، ولرأيت كل جيل يبدأ من الصفر ومن حيث بدأ الآخر من دون تكامل، ويبقى المجتمع يراوح في مكانه.

ولذا فإن الأمم التي لم تعرف القلم والكتابة -كالعرب في الجاهلية- بقيت متخلفة وإلى جوارها أمم قطعت أشواطاً بعيدة في التمدّن والحضارة لأنّها عرفت القلم والكتابة واستفادت منهما.

إن هذه الإنجازات ما كان البشر ليحققها وحده لولا الألفاظ الإلهية التي كانت تلهم الإنسان المؤهل لنقل هذه المعلومة إلى البشرية -سواء كان مؤمناً أو غيره- تلك الاكتشافات وتدلّه عليها في الوقت المناسب الذي تكون فيه البشرية مستعدة لتلقّيها والاستفادة منها، ومن دون هذه الألفاظ لا يهتدي الإنسان إلى شيء، وإن ظن بغروره انه هو وحده المكتشف والمبدع، وقد اعترف عدد من العلماء المخترعين، إنهم وإن توصّلوا إلى مكتشفاتهم وحوّلوها إلى واقع إلا أنهم لا يعرفون كنهها ولا كيفية حصولها -كحقيقة الطاقة الكهربائية مثلاً-، ولكن الله تعالى يريد أن يصل هذا الخير إلى البشرية على يد من يشاء من عباده.

ولكن الإنسان المغرور لا يكتفي أحياناً بالاعتقاد أنه مستقل في تحقيق هذه الانجازات العلمية، بل يتكبّر على إلهه وربّه، وربما ينكر وجود الخالق العظيم.

((وفي قصص الأنبياء أن نبي الله ﷺ إدريس (عليه السلام) أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود، وكان كلما خاط سبّح الله وهلّله وكبّره ووحدّه ومجده، وسُمّيَ إدريس

لكثرة درسه الكتب))([2]) وهو (عليه السلام) من أقدم الأنبياء عاش في الفترة ما بين آدم ونوح (عليهما السلام)، وهكذا فإن أصول العلوم تعود إلى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) مباشرة، أو إلى الإلهامات الإلهية.

وقد سجّل القرآن الكريم هذا الاهتمام بالقلم والكتابة، وأقسم بهما، قال تعالى [ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ] (القلم:1) أما الآيات الكريمة في فضل العلم والعلماء والحث على طلب العلم وذم الجهل وما يقود إليه ونحوها من المعاني فقد قيل أنها بلغت خمسمائة آية.

لذا فنحن نفرح ونفخر بكل إنجاز علمي يحققه أبناؤنا ونعتبره إنجازاً للأمة كلها، ومن ذلك حصول هذا العدد الكبير منكم على درجات الإعفاء من الامتحانات النهائية في الدراسة الإعدادية في مدرسة واحدة مما يكشف عن نبوغ علمي وذهنية مبدعة رغم الصعوبات التي تكتنف حياتكم والتي يمرُّ بها البلد ككل وأولها الانقطاع المستمر للتيار الكهربائي بحيث يلتجئ الطلبة إلى الشوارع والساحات العامة ليطلبوا كتبهم على أصويتها.

ورغم عدم الاهتمام بالكفاءات العلمية الواعدة وتوقف دور الرعاية العلمية عن عملها، إلا أننا رأينا في المعرض الذي أقيم الأسبوع الماضي في بغداد للإنجازات العلمية للشباب أكثر من ألف وخمسمائة معروض لشباب وشابات في الجامعات والمرحلة الإعدادية حملت اكتشافات وتطويرات للأجهزة والمعدات بشكل ملفت للنظر وكان كل ذلك بإمكانيات ذاتية وربما استدان بعضهم مالاً ليحقق حمله في إنجاز علمي مفيد للمجتمع من دون أن يتوقع مكافأة أو مساعدة من الجهات المسؤولة.

يل حصل قبل أسبوعين تقريباً ما هو أغرب من ذلك حين اعتقلت القوات الأمنية في محافظة المثنى شاباً نجح في صنع طائرة صغيرة طارت أمتاراً، وهو يعمل مصلاًحاً للمولدات الكهربائية

الصغيرة، وكان منذ الصغر يحلم أن يكون طياراً مدنياً أو عسكرياً، لكن ظروفه المعيشية الصعبة حالت دون إكماله الدراسة فاتجه إلى الكسب، وظل هذا الحلم يراوده حتى صنع من أدوات محله هذه الطائرة، واستدان مبلغاً مقداره مليون وربع مليون دينار (ألف دولار) ليتم عمله، وفوجئ باعتقاله واحتجاز طيارته لأنه لم يأخذ رخصة من القوات الأمنية، فكان هذا جزاءه بدل التكريم والرعاية وتوفير ورشة عمل تتضمن كل مستلزمات تطوير إمكانياته.

لكنكم بفضل الله تعالى تجاوزتم الصعاب وضعف الإمكانيات وترددت في الوضع في أغلب المدارس وحققتم هذا التفوق العلمي، وزدتم في قيمته حيثما ضمتم إليه التزامكم الديني وحسن مسيرتكم وأخلاقكم، والتفاتكم إلى ما يعمق صلتنكم بالله تبارك وتعالى، ومنها الفعالية المباركة بتوجه جمع كبير منكم برفقة بعض الفضلاء إلى مسجد ال

سهلة وأداء صلاة الجماعة وإحياء مجالس الذكر والدعاء والإرشاد والتوجيه، وعلمت أنكم التقيتم هناك بنخبة ممن يحملون الشهادات العلمية الراقية كالطب والصيدلة والهندسة وقد جمعوا إليها العلوم والمعارف الدينية، وهذا بالتأكيد يعطيكم زخماً كبيراً للتقدم في كلا الميادين.

إن العلوم الأكاديمية تبني حضارة الإنسان وتوفر له أسباب الرفاهية والسعادة، إلا أنها لا تبني إنسانية الإنسان إلا إذا انضمت إليها العلوم الدينية والمعرفة بالله تبارك وتعالى.

وحيثما تتحقق السعادة الحقيقية والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

واجعلوا على رأس أولوياتكم الاهتمام بالقرآن الكريم وتلاوته كلما تسنح لكم فرصة -وما أكثرها- ليس فقط لنيل الثواب في الآخرة ونحوها، بل انه يساعدكم أيضاً على التفوق في دراستكم لأنه يساعد على تصفية الذهن ونقائه ويؤهله لتلقي العلوم، وقد جعلتُ ضمن هديتكم (تفسير شبّر) أو (التفسير المعين) لكي لا تكتفوا بتلاوة القرآن بل تتعرّفوا على معاني مفرداته وآياته باختصار، وطالما نصحت الشباب بذلك.

إنكم بهذا التفوق والإبداع تدخلون السرور على قلب الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) لأنه يحب أن يرى في شيعته أمثالكم من الصالحين المهتمين النافعين لأمتهم، وهذه من أعظم الهدايا التي تقدمونها لإمامكم وتخفّفون بها عنه آلامه وجراحه.

(1) من حديث سماحة المرجع العنقوبي (دام ظله) مع طلبة الصف الرابع الإعدادي في إعدادية حسين علي محفوظ من النجف الأشرف الذين أُعفوا من الامتحانات النهائية بكل الدروس وقد ناهز عددهم الثلاثين، وكان اللقاء يوم الثلاثاء 23/2/1433ج الموافق 15/5/2012.

(2) سفينة البحار: 3/38 بحار الأنوار: 11/279.